## كلمة المؤلف

ما كنت أحسب يوم شرعت في تأليف كتابي «القضاء بين البدو» أنني سوف أخرج للناس هذا الكتاب في «تاريخ بئر السبع وقبائلها»؛ غير أني ما كدت أنتهي من وضع ذلك الكتاب حتى شعرت بالرغبة تحدو بي لدرس تاريخ القبائل التي اتخذتها مدارًا لبحثي هناك؛ لتتم بذلك الفائدة المنشودة.

وما هذا الكتاب الذي أضعه اليوم بين يديك -أيها القارئ الكريم- سوى نتيجة تلك الرغبة وذاك البحث.

أنا لا أدعي العصمة، ولا أزعم أني قد وفقت لإماطة اللثام عن تاريخ هذه البلاد وتاريخ القبائل النازلة فيها، ذلك التاريخ الذي لا يزال غامضًا، غير أني لا أرتاب لحظة في أن ما تيسر لي جمعه من الأخبار والآثار كافٍ لأن ينير السبيل لمن شاء أن يخوض غمار هذا البحث.

ذكرت في تاريخ كل قبيلة شيئًا عن أصل تلك القبيلة، وما نقله إلي الرواة الثقات من أبنائها، ولكنك سترى أن هذه الروايات ضعيفة في بعض الحالات ومناقض بعضها بعضًا في الحالات الأخرى بدرجة يحار عندها العقل.

ولم أستطع -رغم البحث والسؤال- أن أجد في بطون الكتب ما يهديني إلى ضالتي.

تُرى من هم أعراب بئر السبع؟ ومن أين أتوا؟ وإلى أية قبيلة من قبائل الجزيرة ينتمون؟ أو من أي بطن من بطون العرب الأوائل يتفرَّعون؟ وهل هم حقًّا عرب أقحاح، نشئوا في صميم الجزيرة، وترعرعوا في أرجائها، ثم نزحوا مع من نزح منها أثناء الهجرات القديمة فكان نصيبهم هذه الديار؟ وإذا كان هذا هو الواقع فمتى

حدث ذلك؟ تُرى ألا يوجد بينهم من يرجع بالنسب إلى الأقوام الأولى ممن نزلوا هذه الديار خلال الأحقاب المنصرمة من كنعانيين، ومصريين، وعمالقة، وفلسطينيين، وإسرائيليين، وأشوريين، وفرس، ويونان، وأنباط، ورومان، وصليبيين، ومماليك، وأتراك وغير ذلك من الأمم، ثم اندمجوا بعرب الجزيرة فتمثلوا بهم وغدوا عربًا؟

قد يكون هذا، وقد يكون ذاك، وقد يكون كلا الأمرين معًا.

ترى كيف نستطيع أن نهتدي إلى معرفة الحقيقة التي لا مرية فيها؟ عندنا ثلاثة مراجع:

(أ) الكتب والأسفار

(ب) الطلول والآثار

(ج) الأحاديث والأخبار

بيد أنا قبل أن نرجع بك إلى هذه المناهل الثلاثة نرى لزامًا علينا أن نذكر أنه ليس من أصالة الرأي في شيء أن تأخذ كل ما جاء فيها على علاته، وأن تتلقنه كأنه حقيقة مسلمة لا غبار عليها؛ إذ إن الشطر الأكبر منه لا يزال غامضًا يحتاج إلى تمحيص أدق وبحث أوفى.

فلا الأسفار الخطية -بما فيها من أنباء مقتضبة، ولا الأحاديث المروية بما فيها من تناقض تارة ومبالغة أخرى وجهل في أغلب الأحايين، حتى ولا الطلول والآثار التي نراها مبعثرة هنا وهناك والتي لا يزال يحيق بأكثرها سحاب كثيف من الشبهات- نعم، لا هذه ولا تلك بشافية غلة الظمآن التائه في فَيافي هذا البحث الخطير.

ولكنا مع تسليمنا بهذه الحقائق لا نرى مندوحة عن إدلاء دلونا في كلٍّ من هذه المناهل الثلاثة؛ عسى أن نعثر في جنباتها على نُتف تمكننا -أو تمكن غيرنا من بعدنا- من تدوين سلسلة متصلة الحلقات لتاريخ هذه القبائل وتاريخ البلاد التي يعيشون فيها.

فالله تعالى نسأل أن يسدد خطواتنا، وأن يرشدنا إلى ما فيه نفع أمتنا، فهو نعم المولى، ونعم النصير.

عارف العارف

opeikandl.com